الفن السوري القديم

ظهر الفن في سوريا منذ أقدم العصور، ففي تل حلف قرب رأس العين عثر على نوع من الفخار يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد، كما عثر في منطقة أنطاكية على فخار مدهون مزين برسوم وزخارف بدائية، ومنذ اكتشاف المعادن واستعمالها أخذ الفن في سوريا يتقدم ويتطور، وازدهرت صناعة الأختام والحلي والأواني النحاسية، كما زادت العناية بأعمال النحت، وكان الميدان فسيحا لتعبير الفنان على سطوح الأواني حيث زخرفها بأشكال هندسية وآدمية مختلفة كما كانت التماثيل المعدنية الصغيرة المكتشفة في تل الجديدة، والتي تمثل آلهة الخصب، من أبرز التعبيرات الفنية للأشكال الآدمية.

وقد كانت ماري عاصمة العموريين، مركزا فنيا عظيمة في الفترة بين ٢٢٥٠، ٢١٠٠ ق. م فقد عثر في أنقاض هذه المدينة على تماثيل سوداء تعبر أجمل تعبير عن صفات هذا الحيوان، كما عثر أيضا في أنقاض هذه المدينة على رسوم جدارية لآلهة الحب عشتروت ترعى ملك مدينة ماري.

وقد كان لمدينة أوغاريت الكنعانية أهمية مناظره لمدينة ماري – السابق الاشارة اليها– فقد أثبت الحفريات الأخيرة وجود إنتاج فني

عظيم متأثر بالفن المصري القديم، من ذلك تحفة تمثل بوق من العاج نقش عليه مشهد يمثل ربة الخصب رافعة يديها ويحيط بها أسدان لكل منها رأس إنسان يذكرنا بالفن المصري القديم، ومن ذلك أيضًا النصب الحجري الذي يمثل الإله بعل – يمسك بيمناه صاعقة ويسراه فأسًا وبالقرب منه شخص يظن أنه ملك أوغاريت، كل ذلك يدل على أن الفنان السوري القديم كانت له حساسيته وخبرته الفنية التي أتاحت له أن ينتج فنا يعتبر في الدرجة الأولى من الإنتاج الفن القديم.

أما في العصر الأرامي، فقد برزت العناية بالرسوم الجدارية، حيث نجد رسومًا جدارية تمثل استقبال الحاكم لأتباعه، كما نجد رسوما جدارية أخرى تمثل معارك حربية وفي هذا العصر عثر حول دمشق على تمثال من الحجر البازلتي يمثل أبا الهول بأجنحة مزدوجة، وذقن طويلة، وعلى رأسه تاج مزدوج.

هذا الآثار الفنية، تدل دلالة واضحة على أن الإنتاج الفني القديم في هذا الاقاليم كان متأثرًا أشد التأثر بالإنتاج الفني المعاصر له في العراق وفي مصر. إذ أن هناك وحدة طبيعية تربط سكان هذه الأقاليم، توحد بين مشاعرهم وعواطفهم وآمالهم.

وقد كان للغزو الاغريق لهذه البلاد جميعًا أثر كبير في توحيد اتجاهاتها بعد أن مسها الفن الاغريقي بوجهة نظره التي تحترم التعبير الطبيعي، وأصبحت جميع هذه الأقاليم تحاول محاولة باطنية تلقائية أن

تتخلص من هذه المظاهر الطبيعية وأن تعود إلى فطرتها الأصلية التي تقتضى التعبير الرمزي والتجريدي. بحيث نلاحظ أن الأشكال الاغريقية والرومانية الرئيسية كتيجان الاعمدة والتماثيل الآدمية التي أنتجت في سوريا في عهود هذا الاستعمار كان الفنان يحاول فيها أن يتخلص من المظاهر الطبيعية وأن يعود بها إلى التجريد وإلى التلخيص والبساطة.

وتوضح لنا آثار تدمر الجهد الذي بذله الفنان السوري ، لكي يعبر عن فكرته الأصلية ووجدانه المتحرر من تقليد الطبيعة فيما خلفه لنا من تماثيل وأعمال فنية مختلفة، كما نلاحظ ذلك في الرسوم الفسيفسائية التي تمثل الأساطير المختلفة واللوحات الحجرية التي نحت عليها مشهد أرباب تدمر أو مشهد خادمة تقدم علبة المجوهرات لسيداتها أو مشهد ربة القوافل.

وكان الأسلوب الشرقي الأصيل الذي أتبع في الفن التدمري سببا من الأسباب التي دعت العلماء إلى اعتبار المدرسة التدمرية في الفن السوري الأساس الذي قامت عليه المدرسة البيزنطية بعد ذلك.

وعندما دخلت المسيحية في الأقليم السوري، بدأ رجال الفن بزينون الأديرة بإنتاج فني يمثل حياة السيد المسيح ،إذ عثر في كنيسة صغيرة قرب السلمية على حواجز حجرية نحت عليها مشهد يمثل الملك المجوس يقدمون هداياهم إلى يسوع الطفل كما عثر على مشهد

يمثل الهرب إلى مصر، ولوحات فسيفسائية تمثل مشاهد مختلفة.

ثم أشرق نور الإسلام بعد ذلك، على هذه المنطقة العربية فاستجابت له القلوب واندفع الفنانون يعبرون بأصالة حقيقية عن المثالية العربية في الاعمال الفنية، وكان لتعاليم الإسلام أثر بالغ في توجيه تيار الفن وجهة خاصة سنتناولها بالشرح والتفصيل عند الحديث عن الفن الإسلامي.